الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة «ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتني» .

قال الله تعالى : ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تستخرون وتستهزئون بها ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ أي خدعتكم فاطمأنتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ، ولهذا قال عز وجل ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ أي من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين ، قال ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض﴾ أي المالك لها وما فيهما ، ولهذا قال ﴿رب العالمين﴾ ثم قال جل وعلا ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ قال مجاهد : يعني السلطان أي هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح «يقول الله تعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري» ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ بنحوه . وقوله تعالى : ﴿وهو العزيز﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو .

سورة الأحقاف

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حٰمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين ، ووصف نفسه بالعزة التي لاترام ، والحكمة في الاقوال والأفعال ، ثم قال تعالى : ﴿ماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق﴾ أي لا على وجه العبث والباطل ﴿وأجل مسمى﴾ أي والى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولاتنقص ، وقوله تعالى : ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ أي لاهون عما يراد بهم ، وقد أنزل الله تعالى اليهم كتاباً وأرسل اليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله اي وسيعلمون غب ذلك . ثم قال تعالى : ﴿قل﴾ أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي أرشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات ؟﴾ أي ولاشرك لهم في السموات ولافي الأرض ومايملكون من قطمير ، إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل ، فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم الى هذا ؟ من دعاكم اليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند انفسكم ؟ ولهذا قال ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ اي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿أو اثارة من علم﴾ اي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي لا دليل لكم لانقلياً ولا عقلياً على ذلك ، ولهذا قرأ آخرون : أو أثرة من علم اي او علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم ، كما قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ أو أحد يأثر علماً ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي

الله عنهما : او بينة من الأمر . وقال الإمام احمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم ، عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال سفيان : لا أعلم إلا عن النبي ﷺ ، أو أثرة من علم ، قال : الخط . وقال ابو بكر بن عياش : او بقية من علم . وقال الحسن البصري : او اثارة شيء يستخرجه فيثيره . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابو بكر بن عياش ايضاً : او اثارة من علم يعني الخط . وقال قتادة . او اثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الأقوال متقاربة . وهي راجعة الى ماقلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله واكرمه واحسن مثواه .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟﴾ أي لاأضل ممن يدعو من دون الله أصناماً ، ويطلب منها لاتستطيعه الى يوم القيامة ، وهي غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ، لأنها جماد حجارة صم ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ كقوله عز وجل ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ أي سيجحدونهم احوج مايكونون اليهم . وقال الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿إنما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

يقول عز وجل مخبراً عن المشركين في كفرهم وعنادهم : انهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات اي في حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون ﴿هذا سحر مبين﴾ أي سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا ﴿أم يقولون افتراه﴾ يعنون محمداً ﷺ قال الله عز وجل ﴿قل ان افتريته فلاتملكون لي من الله شيئاً﴾ أي لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة ، ولم يقدر احد من اهل الارض لا أنتم ولاغيركم ، ان يجيرني منه ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحداً * إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ وقال تعالى : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ هذا تهديد لهم ووعيد اكيد وترهيب شديد .

وقوله جل وعلا ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة أي ومع هذا كله إن رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم ، وهذه الآية كقوله عز وجل في سورة الفرقان ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيماً﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل﴾ اي لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلي فما انا بالأمر الذي لانظير له حتى تستنكروني وتستبعدون بعثتي اليكم فانه قد ارسل الله جلا وعلا قبلي جميع الأنبياء الى الأمم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل﴾ مأأنا بأول رسول ، ولم يحك ابن جرير ولا ابن ابي حاتم غير ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ومأأدري مايفعل بي ولا بكم﴾ قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : نزل بعدها ﴿ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر﴾ وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة : إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر﴾ قالوا : ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين : هذا قد بين الله تعالى ، ماهو فاعل بك يارسول الله ، فما هو فاعل بنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ هكذا قال ، والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا ؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية . وقال الضحاك ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ أي ما أدري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا ؟ وقال ابو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿وما أدري مايفعل بي ولابكم﴾ قال : أما في الآخرة فمعاذ الله وقدعلم انه في الجنة ، ولكن قال : لاأدري ما يفعل بي ولابكم في الدنيا ، أخرج كما أخرجت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي ؟

ام اقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ؟ ولاأدري ايخسف بكم او ترمون بالحجارة ؟ وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير وانه لايجوز غيره ولاشك ان هذا هو اللائق به ﷺ ، فانه بالنسبة الى الآخرة جازم انه يصير الى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ماكان يؤول إليه امره وامر مشركي قريش الى ماذا ، أيؤمنون ام يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم .

فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء ، وهي امرأة من نسائهم اخبرته وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت : طار لهم في السكني حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فمرضناه ، حتى اذا توفي ادرجناه في اثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد اكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ «ومايدريك أن الله تعالى اكرمه» فقلت : لاأدري بأبي أنت وامي ، فقال رسول الله ﷺ «اما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لأرجو له الخير ، والله ماأدري وانا رسول الله مايفعل بي» .

قالت : والله لا أزكي احداً بعده أبداً واحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عيناً تجري ، فجئت الى رسول الله ﷺ فاخبرته بذلك ، فقال رسول الله ﷺ «ذاك عمله» فقد انفرد باخراجه البخاري دون مسلم ، وفي لفظ له «ماادري وانا رسول الله ﷺ مايفعل به» وهذا اشبه ان يكون هو المحفوظ بدليل قولها فاحزنني ذلك ، وفي هذا وامثاله دلالة على انه لايقطع لمعين بالجنة الا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة ، وزيد بن حارثة وجعفر بن رواحة وماأشبه هؤلاء رضي الله عنهم ، وقوله ﴿إن اتبع إلا مايوحى إلي﴾ أي إنما اتبع ما ينزله الله علي من الوحي ﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾ أي بين النذارة أمري ظاهر لكل ذي لب وعقل ، والله أعلم .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ﴿قل﴾ يامحمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن ﴿أرأيتم إن كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به﴾ أي ما ظنكم أن الله صانع بكم ان كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد انزل علي لأبلغكموه ، وقد كفرتم به وكذبتموه . ﴿وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله﴾ اي وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي ، بشرت به واخبرت بمثل مااخبر هذا القرآن به . وقوله عز وجل ﴿فآمن﴾ اي هذا الذي شهد بصدقه من بني اسرائيل لمعرفته بحقيقته ﴿واستكبرتم﴾ انتم عن اتباعه ، وقال مسروق : فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم انتم بنبيكم وكتابكم ﴿ان الله لايهدي القوم الظالمين﴾ وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره ، فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، وهذه كقوله تبارك وتعالى : ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين﴾ وقال ﴿ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ قال مسروق والشعبي : ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية ، واسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن ابي حاتم واختاره ابن جرير . وقال مالك عن ابي النضر عن عامر بن سعد عن ابيه قال : ماسمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض انه من اهل الجنة ، الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه ، قال : وفيه نزلت ﴿وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله﴾ رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة

ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدي والثوري ومالك بن انس ، وابن زيد أنهم كلهم قالوا : انه عبد الله بن سلام .

وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه﴾ اي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لوكان القرآن خيراً ماسبقنا هؤلاء اليه ، يعنون بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً رضي الله عنهم ، واشباههم واضرابهم من المستضعفين والعبيد والاماء ، وماذاك الا لأنهم عند انفسهم يعتقدون ان لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية . وقد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً واخطأوا خطأ بيناً كما قال تبارك وتعالى : ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ إي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا ﴿لوكان خيراً ماسبقونا اليه﴾ واما أهل السنة والجماعة ، فيقولون : في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لوكان خيراً لسبقونااليه ، لانهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير الا وقد بادروا اليها .

وقوله تعالى : ﴿واذ لم يهتدوا به﴾ أي بالقرآن ﴿فسيقولون هذا إفك قديم﴾ اي كذب قديم أي مأثور عن الناس الاقدمين فينتقصون القرآن واهله ، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ «بطر الحق وغمط الناس» . ثم قال تعالى : ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ وهو التوراة ﴿اماماً ورحمة وهذا كتاب﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ اي لما قبله من الكتب ﴿لساناً عربياً﴾ اي فصيحاً بيناً واضحاً ﴿لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ اي مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين ، وقوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ، وقوله تعالى : ﴿فلا خوف عليهم﴾ اي فيما يستقبلون ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ماخلفوا ﴿اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ اي الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم ، والله اعلم .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

لما ذكر تعالى في الآية الاولى التوحيد له واخلاص العبادة والاستقامة اليه ، عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وقوله جل جلاله : ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ الى غير ذلك من الآيات الكثيرة . وقال عز وجل ههنا ﴿ووصينا الانسان بوالديه احساناً﴾ أي أمرناه بالإحسان اليهما والحنو عليهما وقال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة ، اخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضي الله عنه قال : قالت ام سعد لسعد : اليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاماً ولااشرب شراباً حتى تكفر بالله تعالى ، فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاهاً بالعصا ونزلت هذه الآية ﴿ووصينا الانسان بوالديه احسانا﴾ الآية . ورواه مسلم واهل السنن الا ابن ماجة من حديث شعبة باسناد نحوه واطول منه ﴿حملته امه كرهاً﴾ اي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً من وحم وغشيان وثقل وكرب ، الى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ، ﴿ووضعته كرهاً﴾ اي بمشقة ايضا من الطلق وشدته ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ .

وقد استدل علي رضي الله عنه بهذه الآية مع التي في لقمان ﴿وفصاله في عامين﴾ وقوله تبارك وتعالى ﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة﴾ على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وهو استنباط قوي صحيح ، ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم . قال محمد بن اسحاق بن يسار بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبدالله الجهني قال : تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر ، فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه ، فذكر ذلك له ، فبعث إليها ، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت : ومايبكيك ؟ فو الله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط ، فيقضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء ، فلما أتى بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه : فأتاه فقال له ما تصنع ، قال ولدت تماماً لستة أشهر ، وهل يكون ذلك ، فقال له علي رضي الله عنه .

أما تقرأ القرآن : قال : بلى . قال : أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ وقال ﴿حولين كاملين﴾ فلم يجده بقي إلا ستة أشهر قال : فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا ، عليَّ بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال : فقال معمر : فو الله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه ، فلما رآه أبوه قال : ابني والله لا أشك فيه . قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة ، فما زالت تأكله حتى مات ، رواه ابن أبي حاتم ، وقد اوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل ﴿فأنا اول العابدين﴾ .

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مسهر عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اذا وضعت المرأة لتسعة اشهر كفاه من الرضاع احد وعشرون شهراً ، واذا وضعته لسبعة اشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً ، واذا وضعته لستة اشهر فحولين كاملين لان الله تعالى يقول ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ اشده﴾ اي قوي وشب وارتجل . ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ اي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه . ويقال انه لايتغير غالباً عما يكون عليه ابن الاربعين ، قال ابو بكر بن عياش عن الاعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال : قلت لمسروق : متى يؤخذ الرجل بذنوبه ؟ قال اذا بلغت الأربعين فخذ حذرك .

وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي : حدثنا ابو عبد الله القواريري ، حدثنا عروة بن قيس الازدي ، وكان قد بلغ مائة سنة . حدثنا ابو الحسن الكوفي عمر بن اوس قال : قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال «العبد المسلم اذا بلغ اربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ، واذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة اليه ، واذا بلغ سبعين سنة احبه اهل السماء واذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته ، واذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، وشفعه الله تعالى في اهل بيته ، وكتب في السماء اسير الله في ارضه» وقد روي هذا من غير هذا الوجه ، وهو في مسند الامام احمد ، وقد قال الحجاج بن عبدالله الحكمي احد امراء بني امية بدمشق ، تركت المعاصي والذنوب اربعين سنة حياء من الناس ، ثم تركتها حياء من الله عز وجل ، ومأأحسن قول الشاعر :

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل : ابعد !

﴿قال رب أوزعني﴾ اي ألهمني ﴿أن اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ اي في المستقبل ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ أي نسلي وعقبي ﴿إني تبت اليك واني من المسلمين﴾ وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله عز وجل ويعزم عليها ، وقد روى ابو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يعلمهم ان يقولوا في التشهد «اللهم ألف بين قلوبنا واصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش ماظهر منها ومابطن ، وبارك لنا في اسماعنا وابصارنا وقلوبنا وازواجنا وذرياتنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها واتمها علينا» قال الله عز وجل : ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا ، التائبون الى الله المنيبون اليه ، المستدركون مافات بالتوبة والاستغفار ، هم الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل .

﴿من اصحاب الجنة﴾ اي هم في جملة اصحاب الجنة ، وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب اليه واناب ، ولهذا قال تعالى : ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن الغطريف ، عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، عن الروح الامين عليه الصلاة والسلام قال« يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة» قال : فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال : قلت فان ذهبت الحسنة ؟ قال ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ وهكذا رواه ابن ابي حاتم عن ابيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان بإسناده مثله وزاد عن الروح الامين . قال : قال لرب جل جلاله : يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره ، وهو حديث غريب واسناده جيد ولابأس به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابي ، حدثنا سليمان بن معبد ، حدثنا عمرو بن عاصم الكلائي ، حدثنا ابو عوانة عن ابي بشر جعفر بن ابي وحشية عن ابي وحشية عن يوسف بن سعد ، عن محمد بن حاطب قال : ونزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على اهل البصرة فقال له يوماً : لقد شهدت امير المؤمنين علياً رضي الله عنه ، وعنده عمار وصعصعة والاشتر ومحمد بن ابي بكر رضي الله عنهم ، فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه ، فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده ، فقال قائل منهم : ان عندكم من يفصل بينكم ، فسألوه فقال علي رضي الله عنه : كان عثمان رضي الله

عنه من الذين قال الله تعالى : ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ قال : والله عثمان واصحاب عثمان رضي الله عنهم ، قالها ثلاثاً . قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب : آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه ؟ قال : آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه .

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز ، والنجاة ، عطف بحال الاشقياء العاقين للوالدين فقال ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ وهذا عام في كل من قال هذا ، ومن زعم انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف ، لان عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما اسلم بعد ذلك ، وحسن اسلامه وكان من خيار اهل زمانه ، وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي صحة هذا نظر ، والله تعالى اعلم . وقال ابن جريج عن مجاهد : نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج وقال آخرون عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما ، وهذا أيضاً قول السدي ، وانما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق ، فقال لوالديه ﴿أف لكما﴾ عقهما .

وقال ابن ابي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا يحيى ابن ابي زائدة ، عن اسماعيل بن ابي خالد ، اخبرني عبد الله بن المديني ، قال : اني لفي المسجد حين خطب مروان فقال : ان الله تعالى قد ارى امير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً ، وان يستخلفه فقد استخلف ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : اهرقلية ؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ماجعلها في احد من ولده ولا احد من أهل بيته ، ولاجعلها معاوية في ولده الا رحمة وكرامة لولده ، فقال مروان : الست الذي قال لوالديه اف لكما ؟ فقال عبد الرحمن رضي الله عنه : الست ابن اللعين الذي لعن رسول الله ﷺ اباك؟ قال وسمعتها عائشة رضي الله عنها فقالت : يامروان انت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا ؟ كذبت مافيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ، ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر ، حتى اتى باب حجرتها ، فجعل يكلمها حتى انصرف ، وقد رواه البخاري باسناد آخر ولفظ اخر فقال : حدثنا موسى ابن اسماعيل ، حدثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية بن ابي سفيان ، رضي الله عنهما ، فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد ابيه فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما شيئاً ، فقال : خذوه ، فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه ، فقال مروان : ان هذا الذي انزل فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي﴾ فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : ماأنزل الله عز وجل فينا شيئاً من القرآن الا ان الله تعالى انزل عذري .

[طريق اخرى] قال النسائي : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا امية بن خالد ، حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال : لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه ، قال مروان : سنة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما . فقال عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما : سنة هرقل وقيصر . فقال مروان : هذا الذي انزل الله تعالى فيه ﴿والذي قال لوالديه اف لكما﴾ الآية . فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت : كذب مروان والله ماهو به ، ولو شئت ان اسمي الذي انزلت فيه لسميته ، ولكن رسول الله ﷺ لعن ابا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله .

وقوله ﴿أتعدانني ان اخرج﴾ اي ابعث ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ اي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر ﴿وهما يستغيثان الله﴾ أي يسألان الله فيه ان يهديه ويقولان لولدهما ﴿ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا الا اساطير

الاولين﴾ قال الله تعالى : **﴿أولئك الذين حق عليهم القول في امم قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾** اي دخلوا في زمرة اشباههم واضرابهم ، من الكافرين الخاسرين انفسهم واهليهم يوم القيامة . وقوله **﴿اولئك﴾** بعد قوله **﴿والذي قال﴾** دليل على ماذكرناه من انه جنس يعم كل من كان كذلك . وقال الحسن وقتادة : هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار ، حدثنا حماد بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد الزبرقان العليمي عن سليم بن حبيب عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «اربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه ، وأمنت عليهم الملائكة : مضل المساكين» قال خالد الذي يهوي بيده الى المسكين فيقول : هلم اعطيك ، فاذا جاءه قال : ليس معي شيء «والذي يقول للماعون ابن وليس بين يديه شيء ، والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها ، والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا» غريب جداً .

وقوله تبارك وتعالى : **﴿ولكل درجات مما عملوا﴾** اي لكل عذاب بحسب عمله **﴿وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون﴾** اي لايظلمهم مثقال ذرة فما دونها . قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، درجات النار تذهب سفالاً ودرجات الجنة تذهب علواً ، وقوله عز وجل : **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾** اي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، وقد تورع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب . وتنزه عنها ويقول : اني اخاف ان اكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم **﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾** وقال ابو مجلز : ليفقدن اقوام حسنات كانت لهم في الدنيا فيقال لهم **﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾** وقوله عز وجل : **﴿فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾** فجوزوا من جنس عملهم فكما متعوا انفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي ، جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون ، وهو الاهانة والخزي والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظعة ، اجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله .

﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه **﴿واذكر اخا عاد﴾** وهو هود عليه الصلاة والسلام ، بعثه الله عز وجل الى عاد الأولى وكانوا يسكنون الاحقاف ، جمع حقف وهو الجبل من الرمل ، قال ابن زيد ، وقال عكرمة : الاحقاف الجبل والغار ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الأحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه ارواح الكفار ، وقال قتادة : ذكر لنا ان عاداً كانوا حياً باليمن اهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر ، قال ابن ماجة باب اذا دعا فليبدأ بنفسه . حدثنا الحسين بن علي الخلال ، حدثنا ابي ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا سفيان ، حدثنا علي بن اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «يرحمنا الله واخا عاد» وقوله تعالى : **﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾** يعني وقد ارسل الله تعالى الى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل **﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وماخلفها﴾** وكقوله جل وعلا : **﴿فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾** اي قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين **﴿أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا؟﴾** اي لتصدنا عن آلهتنا **﴿فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾** استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه كقوله جلت عظمته **﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾** **﴿قال انما العلم عند الله﴾** اي الله اعلم بكم ان كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم واما انا فمن شأني اني

ابلغكم ماارسلت به ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ اي لاتعقلون ولاتفهمون .

قال الله تعالى : ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل اوديتهم﴾ اي لما رأوا العذاب مستقبلهم ، اعتقدوا انه عارض ممطر ، ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين الى المطر . قال الله تعالى : ﴿بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم﴾ اي هو العذاب الذي قلتم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿تمر﴾ اي تخرب ﴿كل شيء﴾ من بلادهم مما من شأنه الخراب ﴿بأمر ربها﴾ اي باذن الله لها في ذلك كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم﴾ اي كالشيء البالي ولهذا قال عز وجل ﴿فأصبحوا لايرى الا مساكنهم﴾ اي قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ اي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف امرنا . وقد ورد حديث في قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وافراده . قال الامام احمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني ابو المنذر سلام بن سليمان النحوي قال : حدثنا عاصم بن ابي النجود عن ابي وائل عن الحارث البكري قال : خرجت اشكو العلاء بن الحضرمي الى رسول الله ﷺ ، فمررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي : ياعبد الله ان لي الى رسول الله ﷺ حاجة ، فهل انت مبلغي اليه ؟ قال فحملتها فأتيت بها المدينة ، فاذا المسجد غاص باهله ، واذا راية سوداء تخفق ، واذا بلال رضي الله عنه ، متقلداً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : ماشأن الناس ؟ قالوا يريد ان يبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه وجهاً قال : فجلست فدخل منزله ، او قال رحله ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فدخلت فسلمت ، فقال ﷺ «هل كان بينكم وبين تميم شيء؟» قلت : نعم وكان لنا الدائرة عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها ، فسألتني ان احملها اليك فهاهي بالباب ، فاذن لها فدخلت فقلت : يارسول الله ان رأيت ان تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت : يارسول الله فالى اين يضطر مضطرك ؟ قال : قلت ان مثلي ماقال الاول معزى حملت حتفها ، حملت هذه ولااشعر انها كانت لي خصماً ، اعوذ بالله ورسوله ان اكون كوافد عاد ، قال «وما وافد عاد ؟» وهو اعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه ، قلت : ان عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل ، فمر بمعاوية بن بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة ، فقال : اللهم انك تعلم اني لم اجيء الى مريض فأداويه ولا الى اسير فأفاديه ، اللهم اسق عاداً ماكنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود فنودي منها : اختر . فأومأ الى سحابة منها سوداء فنودي منها ، خذها رماداً رمدداً ، لاتبقي من عاد احداً ، قال : فما بلغني انه ارسل عليهم من الريح الا قدر مايجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال ابو وائل : وصدق وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافداً لهم قالوا لاتكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة كما تقدم في سورة الاعراف .

وقال الامام احمد : حدثنا هارون بن معروف ، اخبرنا ابن وهب ، اخبرنا عمرو ان ابا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى ارى منه لهواته انما كان يبتسم وقالت كان رسول الله ﷺ اذا رأى غيماً او ريحاً عرف ذلك في وجهه . قالت : يارسول الله ان الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية ، فقال رسول الله ﷺ «ياعائشة مايؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح ، وقد روى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا» واخرجاه من حديث ابن وهب .

[طريق اخرى] قال الامام احمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدام بن شريح عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ان رسول الله ﷺ كان اذا رأى ناشئاً في افق من افاق السماء ترك عمله ، وان كان في صلاته ، ثم يقول : «اللهم اني اعوذ بك من شر ما فيه» فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل ، وإن أمطر قال : اللهم صيباً نافعاً .

[طريق اخرى] قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر الطاهر ، أخبرنا ابن وهب قال : سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن ابي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» قالت : وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وأدبر ، فإذا أمطرت سري عنه ، فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها ؛ فسألته فقال رسول الله ﷺ «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾» وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهود بما أغنى عن إعادته ههنا ، ولله تعالى الحمد والمنة .

وقال الطبراني : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي ، حدثنا أبو مالك بن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ، ثم أرسلت عليهم في البدو إلى الحضر ، فلما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا ، وكان أهل

البوادي فيها ، فألقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا ـ قال ـ عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الاموال والأولاد ، واعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريباً منه ﴿وجعلنا لهم سمعاً وابصاراً وأفئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي وأحاط بهم العذاب ، والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ، أي فاحذروا ايها المخاطبون ان تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ يعني أهل مكة ، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد ، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن ، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام ، وكذلك سبأ وهم اهل اليمن ، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم الى غزة ، وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها ايضاً ، وقوله عز وجل ﴿وصرفنا الآيات﴾ أي بيناها واوضحناها ﴿لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ أي فهل نصروهم عند احتياجهم اليهم . ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي بل ذهبوا عنهم احوج ما كانوا اليهم ﴿وذلك إفكهم﴾ أي : كذبهم ﴿وما كانوا يفترون﴾ أي وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها ، والله أعلم .

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قال الامام احمد : حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، سمعت عكرمة عن الزبير ، ﴿واذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ قال : بنخلة ، ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة ﴿كادوا يكونون عليه لبداً﴾ قال سفيان : ألبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض ، تفرد به احمد ، وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة ، عن ابن عباس انهم سبعة من جن نصيبين . وقال الامام احمد : حدثنا عفان ، حدثنا ابو عوانة وقال الامام الشهير الحافظ ابو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة : اخبرنا ابو الحسن علي بن احمد عبدان ، اخبرنا احمد بن عبيد الصفار ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين ، الى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء .

فانصرف اولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامداً الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين

رجعوا الى قومهم ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احداً﴾ وانزل الله على نبيه ﷺ ﴿قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن﴾ وانما اوحي اليه قول الجن رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، واخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن ابي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث ابي عوانة ، وقال الامام احمد ايضاً : حدثنا ابو احمد ، حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً ، فيكون ما سمعوا حقاً وما زادوا باطلاً ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله ﷺ كان احدهم لا يأتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما أصاب ، فشكوا ذلك الى ابليس فقال : ما هذا الا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فاذا بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة ، فأتوه فأخبروه فقال : هذا الحديث الذي حدث في الأرض ، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما من حديث اسرائيل به ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهكذا رواه ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضاً بمثل هذا السياق بطوله ، وهكذا قال الحسن البصري انه ﷺ ما شعر بأمرهم حتى انزل الله تعالى عليه بخبرهم ، وذكر محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي ﷺ الى الطائف ودعائه اياهم الى الله عز وجل وابائهم عليه ، فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري ، ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك» .

قال : فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين ، وهذا صحيح ، ولكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر ، فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور ، وخروجه ﷺ الى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة او سنتين كما قرره ابن اسحاق وغيره ، والله اعلم ، وقال ابو بكر بن أبي شيبة : حدثنا ابو احمد الزبيري ، حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، ﴿فلما حضروه قالوا انصتوا﴾ قال : صه ، وكانوا تسعة احدهم زوبعة ، فأنزل الله عز وجل ﴿واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين﴾ فهذا مع الاول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي ان رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالاً قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج ، كما ستأتي بذلك الاخبار في موضعها والاثار مما سنوردها ههنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعاً عن ابي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي ، عن ابي اسامة حماد بن اسامة عن مسعر بن كدام ، عن معن بن عبد الرحمن ، قال : سمعت ابي يقول : سألت مسروقاً من آذن النبي ﷺ ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال : حدثني ابوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه انه آذنته بهم شجرة ، فيحتمل ان يكون هذا في المرة الاولى ويكون اثباتاً مقدماً على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ، ويحتمل ان يكون في الأولى ، ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم ، والله اعلم ، ويحتمل ان يكون هذا في بعض المرات المتأخرات ، والله اعلم .

قال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ ، وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه .

[ذكر الروايات عنه بذلك]

قال الامام احمد : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ، حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة ، اخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما كان في وجه الصبح - او قال - في السحر اذا نحن به يجيء من قبل حراء ، فقلنا : يارسول الله ، فذكروا له الذي كانوا فيه فقال : «انه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم» قال : فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي : سألوه الزاد ، قال

عامر : سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال «كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة او روثة علف لدوابكم - قال - فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد اخوانكم من الجن» وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن اسماعيل بن علية به نحوه .

وقال مسلم ايضاً : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود وهو ابن ابي هند عن عامر قال : سألت علقمة : هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : فقال علقمة : انا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت : هل شهد احد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه ، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقيل استطير ؟ اغتيل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء ، قال : فقلنا : يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال «اتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال «كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة او روثة علف لدوابكم» قال رسول الله ﷺ «فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم » .

[طريق أخرى] عن ابن مسعود رضي الله عنه . قال ابو جعفر بن جرير : حدثني احمد بن عبد الرحمن ، حدثني عمي ، حدثني يونس عن الزهري عن عبيد الله قال : ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «بت الليلة اقرأ على الجن واقفاً بالحجون» .

[طريق اخرى] فيها انه كان معه ليلة الجن . قال ابن جرير رحمه الله : حدثني احمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب ، اخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابي عثمان بن شبة الخزاعي ، وكان من اهل الشام قال : ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لاصحابه وهو بمكة «من احب منكم ان يحضر امر الجن الليلة فليفعل» فلم يحضر منهم احد غيري ، قال : فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خطّ لي برجله خطاً ثم امرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ، ذاهبين حتى بقي منهم رهط ، ففرغ رسول الله ، فأعطاهم عظماً وروثاً ، ثم نهى ان يستطيب احد بروث او عظم . ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الأيلي به .

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى اسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحو ما تقدم ورواه الحافظ ابو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن ابي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه ، فذكر نحوه أيضاً .

[طريق اخرى] قال ابو نعيم : حدثناابو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ، حدثني ابي قال : حدثنا عفان وعكرمة قالا : حدثنا معتمر قال : قال ابي : حدثني ابو تميمة عن عمرو ، ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : استتبعني رسول الله ﷺ فانطلقنا حتى اتينا مكان كذا وكذا ، فخط لي خطاً فقال «كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فإنك ان خرجت منها هلكت» فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة .

[طريق اخرى] قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي انه قال لابن مسعود رضي الله عنه : حدثت انك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن . قال : اجل ، قال : فكيف كان ؟ فذكر الحديث وذكر ان النبي لله خط عليه خطاً وقال «لا تبرح منها» فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ ، فذعر ثلاث مرات حتى اذا كان قريباً من الصبح أتاني النبي ﷺ فقال «أنمت؟» فقلت : لا والله ، ولقد هممت مراراً ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول «اجلسوا» فقال ﷺ «لو خرجت لم آمن ان يتخطفك بعضهم» ثم قال ﷺ «هل رأيت شيئاً؟» قلت : نعم رأيت رجالاً سوداً مستفرين ثياباً بياضاً قال ﷺ «اولئك جن نصيبين سألوني المتاع - والمتاع الزاد - فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة او روثة - فقلت يارسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ فقال رسول لله ﷺ : انهم لا يجدون عظماً الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل . ولا روثاً إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت ، فلا يستنقين احد منكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة » .

[طريق اخرى] قال الحافظ ابو بكر البيهقي : اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمي وابو نصر بن قتادة قال اخبرنا ابو محمد يحيى بن منصور القاضي ، حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابراهيم البوشنجي ، حدثنا روح بن صلاح ، حدثنا موسى بن علي بن رباح عن ابيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : استتبعني رسول الله ﷺ فقال«ان نفراً من الجن خمسة عشر

بني اخوة وبني عم يأتوني الليلة اقرأ عليهم القرآن» فانطلقت معه الى المكان الذي اراد فخط لي خطاً واجلسني فيه وقال لي«لاتخرج من هذا» فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحمة فقال«اذا ذهبت الى الخلاء فلاتستنج بشيء من هؤلاء» قال : فلما اصبحت قلت لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ قال : فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً .

[طريق اخرى] قال البيهقي : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ ، اخبرنا ابو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن ابي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى اتى الحجون ، فخط لي خطا ثم تقدم اليهم ، فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان : انا ارحلهم عنك . فقال : إني لن يجيرني من الله احد .

[طريق اخرى] قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان بن ابي فزارة العبسي ، حدثنا ابو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ «امعك ماء؟» قلت : ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ «تمرة طيبة وماء طهور» ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث ابن زيد به .

[طريق اخرى] قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن اسحاق ، اخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال : انه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ «ياعبد الله أمعك ماء؟» قال : معي نبيذ في إداوة . قال ﷺ «اصبب عليَّ» فتوضأ . فقال النبي ﷺ «ياعبد الله شراب وطهور» تفرد به احمد من هذا الوجه ، وقد اورده الدارقطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه .

[طريق اخرى] قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق ، اخبرني ابي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ، فلما انصرف تنفس فقلت : ماشأنك ؟ قال : «نعيت الي نفسي ياابن مسعود» هكذا رأيته في المسند مختصراً ، وقد رواه الحافظ ابو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال : حدثنا سليمان بن احمد بن ايوب ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم ، وحدثنا ابو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ، حدثنا ابي قال : حدثنا عبد الرزاق عن ابيه عن ميناء عن ابن مسعود قال : «نعيت الي نفسي ياابن مسعود» قلت : استخلف . قال : «من ؟»قلت : ابا بكر . قال : فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت : ماشأنك بأبي انت وأمي يارسول الله ؟ قال «نعيت إلي نفسي ياابن مسعود» قلت : استخلف . قال : «من ؟» قلت : عمر . فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت : ماشأنك ؟ قال : «نعيت الي نفسي» قلت : فاستخلف قال ﷺ «من؟» قلت : علي بن ابي طالب رضي الله عنه . قال ﷺ : «اما والذي نفسي بيده لئن اطاعوه ليدخلن الجنة اجمعين اكتعين» وهو حديث غريب جداً واحرى به ان لايكون محفوظاً ، وبتقدير صحته فالظاهر ان هذا بعد وفودهم اليه بالمدينة على ماسنورده ان شاء الله تعالى ، فان في ذلك الوقت كان في اخر الامر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان ايضاً في دين الله افواجاً نزلت سورة ﴿**اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً**﴾وهي السورة التي نعيت نفسه الكريمة فيها اليه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ، ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه ، وقد ورد في ذلك حديث سنورده ان شاء الله تعالى عند تفسيرها ، والله أعلم وقد رواه ابو نعيم ايضاً عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن علي بن الحسين بن ابي بردة ، عن يحيى بن سعيد الاسلمي ، عن حرب ابن صبيح عن سعيد بن سلمة عن ابي مرة الصنعاني ، عن ابي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف ، وهذااسناد غريب وسياق عجيب .

[طريق اخرى] قال الامام احمد : حدثنا ابو سعيد ، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ خط حوله ، فكان احدهم مثل سواد النحل وقال «لاتبرح مكانك فأقرئهم كتاب الله» فلما رأى المرعى قال : كأنهم هؤلاء وقال النبي ﷺ «امعك ماء؟» قلت : لا . قال : «أمعك نبيذ؟» قلت : نعم فتوضأ به .

[طريق اخرى مرسلة] قال ابن ابي حاتم : حدثنا ابو عبد الله الطبراني ، اخبرنا حفص بن العدني ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿**وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن**﴾قال هم اثنا عشر ألفاً جاءوا من جزيرة الموصل ، فقال النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه : «انظرني حتى آتيك» وخط عليه خطاً وقال «لاتبرح حتى آتيك» فلما خشيهم ابن مسعود رضي الله عنه كاد أن يذهب ، فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح ، فقال له النبي : «لو ذهبت ماالتقينا الى يوم القيامة» .

[طريق اخرى مرسلة أيضاً] : قال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ قال : ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وان نبي الله ﷺ قال : «اني امرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني ؟» فاطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل : يارسول الله ان ذاك لذو ندبة ، فأتبعه ابن مسعود رضي الله عنه اخو هذيل ، قال فدخل النبي ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه ، وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطا ليثبته بذلك ، قال : فجعلت اهال وارى امثال النسور تمشي في دفونها وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله ﷺ قلت يارسول الله ماللغط الذي سمعت ؟ قال ﷺ «اختصموا في قتيل فقضي بينهم بالحق» رواه ابن جرير وابن ابي حاتم .

فهذه الطرق كلها تدل على انه ﷺ ذهب الى الجن قصداً فتلا عليه القرآن ودعاهم الى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ماهم محتاجون اليه في ذلك الوقت وقد يحتمل ان اول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما . ثم بعد ذلك وفدوا اليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، واما ابن مسعود رضي الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه اياهم ، وانما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي ﷺ احد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي ، وقد يحتمل ان يكون اول مرة خرج اليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ولاغيره ، كما هو ظاهر سياق الرواية الاولى من طريق الإمام احمد ، وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة اخرى ، والله اعلم ، كما روى ابن ابي حاتم في تفسير ﴿قل أوحي إلي﴾ من حديث ابن جريج قال : قال عبد العزيز بن عمر : اما الجن الذي لقوه بنخلة فجن نينوى ، واما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين ، وتأوله البيهقي على انه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه ممن لم يعلم بخروجه ﷺ الى الجن ، وهو محتمل على بعد ، والله اعلم .

وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي : اخبرنا ابو عمرو محمد بن عبد الله الاديب ، حدثنا ابو بكر الاسماعيلي ، اخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا سويد بن عيد ، حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال : كان ابو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ بإداوة لوضوئه وحاجته ، فأدركه يوماً فقال «من هذا؟» قال: انا ابو هريرة . قال ﷺ «ائتني باحجار استنج بها ولاتأتني بعظم ولاروثة» فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها الى جنبه حتى اذا فرغ وقام اتبعته فقلت : يارسول الله مابال العظم والروثة ؟ قال ﷺ «أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم ان لايمروا بروثة ولاعظم الا وجدوه طعاماً» اخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن اسماعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريباً منه ، فهذا يدل على ماتقدم على انهم وفدوا عليه بعد ذلك وسنذكر ان شاء الله تعالى مايدل على تكرار ذلك .

وقد روي عن ابن عباس غير ماروي عنه أولاً من وجه جيد ، فقال ابن جرير : حدثنا ابو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحماني ، حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن﴾ الآية . قال : كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله رسلاً الى قومهم . فهذا يدل على انه قد روى القصتين . وقال بن ابي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد ﴿واذ صرفنا اليك نفراً من الجن﴾ الآية ، قال : كانوا سبعة نفر ثلاثة من اهل حران وأربعة من أهل نصيبين ، وكانت اسماؤهم حسى وحسي ومنسى وساصر وناصر والاردوبيان والأحتم ، وذكر ابو حمزة الثمالي ان هذا الحي من الجن كان يقال له بنو الشيصبان وكانوا اكثر الجن عدداً واشرفهم نسباً ، وهم كانوا عامة جنود ابليس .

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذر ابن مسعود رضي الله عنه : كانوا تسعة احدهم زوبعة ، اتوه من اصل نخلة ، وتقدم عنهم انهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية انهم كانوا على ستين راحلة ، وتقدم عنه ان اسم سيدهم وردان ، وقيل : كانوا ثلثمائة ، وتقدم عن عكرمة على انهم كانوا اثني عشر الفاً ، فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه ﷺ، ومما يدل على ذلك ماقاله البخاري في صحيحه : حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب ، حدثني عمر هو ابن محمد قال : ان سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ماسمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء-قط اني لأظنه هكذا الا كان كما يظن بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظني او ان هذا على دينه في الجاهلية او لقد كان كاهنهم ، علي بالرجل ، فدعي له ، فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال : فما اعزم عليك الا ماأخبرتني قال : كنت كاهنهم في الجاهلية قال : فماأعجب ماجاءتك به جنيتك ، قال : بينما انا يوماً في السوق جاءتني اعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد انكاسها
وخوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر رضي الله عنه: صدق بينما انا نائم عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم اسمع صارخاً قط اشد صوتاً منه يقول : ياجليح ، أمر نجيح رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله قال : فوثب القوم فقلت : لاأبرح حتى اعلم ماوراء هذا ، ثم نادى ياجليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا ان قيل هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ، ثم قال وظاهر هذه الرواية يوهم ان عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه ، وسائر الروايات تدل على ان هذا الكاهن هو الذي اخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ، والله اعلم ، وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن اراده فليأخذه من ثم ، ولله الحمد والمنة .

وقال البيهقي : حديث سواد بن قارب ، ويشبه ان يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح ، اخبرنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من اصل سماعه ، اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الاصبهاني قراءة عليه ، حدثنا ابو جعفر احمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة ، حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ، حدثنا ابو بكر القصري حدثنا محمد بن نواس الكوفي ، حدثنا ابو بكر بن عياش عن ابي اسحاق عن البراء رضي الله عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ اذ قال : ايها الناس افيكم سواد بن قارب ؟ قال : فلم يجبه احد تلك السنة . فلما كانت السنة المقبلة قال : ايها الناس افيكم سواد بن قارب ؟ قال : فقلت ياأمير المؤمنين وماسواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر رضي الله عنه : ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئاً عجيباً ، قال فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب قال : فقال له عمر رضي الله عنه ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان ؟ قال سواد رضي الله عنه : فاني كنت نازلاً بالهند وكان لي رئي من الجن ، قال فبينما انا ذات ليلة نائم اذ جاءني في منامي ذلك ، قال قم فافهم واعقل ان كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم انشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى اخير الجن كأنجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها

قال : ثم انبهني فأفزعني وقال ياسواد بن قارب ، ان الله عز وجل بعث نبياً فانهض اليه تهتد وترشد ، فلما كان من الليلة الثانية اتاني فأنبهني ثم انشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها رشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ليس قداماها كأذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة اتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشر كأخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفارها

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام من امر رسول الله ﷺ ماشاء الله ، قال فانطلقت الى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت اخرى حتى اتيت رسول الله ﷺ فاذا هو بالمدينة يعني مكة ، والناس عليه كعرف الفرس ، فلما رآني النبي ﷺ قال«مرحباً بك ياسواد بن قارب قد علمنا ماجاء بك» قال : قلت يارسول الله قد قلت شعراً فاسمعه مني قال ﷺ «قل ياسواد» فقلت :

اتاني رئي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة : اتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت بي الدعلب الوجناء بين الباسب
فأشهد ان الله لا رب غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله ياابن الاكرمين الاطايب

فمـرنـا بمـا يـأتيـك يـاخـيـر مـرسـل وان كـان فيـما جـاء شيب الـذوائب
وكن لي شفيعـاً يـوم لا ذو شـفـاعـة سـواك بمـغـن عـن سـواد بـن قـارب

قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي«افلحت ياسواد» فقال له عمر رضي الله عنه هل يأتيك رئيك الآن؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن . ثم اسنده البيهقي من وجهين اخرين . ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعدما هاجر الى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ ابو نعيم في كتاب دلائل النبوة ، حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصي ، حدثنا ابو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن اسلم انه سمع ابا سلام يقول : حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال : اتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له : حدثت انك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن . قال: اجل ، قلت: حدثني كيف كان شأنه ! فقال ان اهل الصفة اخذ كل رجل منهم رجل يعشيه ، وتركت فلم يأخذني احد منهم ، فمر بي رسول الله ﷺ فقال «من هذا؟» فقلت : انا ابن مسعود ، فقال ﷺ «ماأخذك احد يعشيك؟» فقلت : لا ، قال ﷺ «فانطلق لعلي اجد لك شيئاً» .

قال : فانطلقنا حتى اتى رسول الله ﷺ حجرة ام سلمة رضي الله عنها ، فتركني قائماً ودخل الى اهله ثم خرجت الجارية فقالت : يااين مسعود ، ان رسول الله ﷺ لم يجد لك عشاء فارجع الى مضجعك . قال فرجعت الى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته والتففت بثوبي ، فلم البث الا قليلاً حتى جاءت الجارية فقالت : اجب رسول الله . فاتبعته وأنا ارجو العشاء حتى اذا بلغت مقامي خرج رسول الله ﷺ وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال ﷺ :«انطلق انت معي حيث انطلقت» قلت : ماشاء الله فأعادها علي ثلاث مرات . كل ذلك اقول ماشاء الله فانطلق ، وانطلقت معه حتى اتينا بقيع الغرقد فخط ﷺ بعصاه ثم قال«اجلس فيها ولاتبرح حتى آتيك» ثم انطلق يمشي وانا انظر اليه خلال النخل ، حتى اذا كان من حيث لاأراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت : ألحق برسول الله ﷺ فاني اضن ان هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه ، فأسعى الى البيوت فأستغيث الناس ، فذكرت ان رسول الله ﷺ اوصاني ان لاأبرح مكاني الذي انا فيه ، فسمعت رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ويقول «اجلسوا» فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا ، فأتاني رسول الله فقال :«أنمت بعدي؟» فقلت : لا ولقد فزعت الفزعة الاولى حتى رأيت ان آتي البيوت ، فاستغيث الناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك ، وكنت اظنها هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه ، فقال«لو انك خرجت من هذه الحلقة ماأمنت عليك ان يختطفك بعضهم ، فهل رأيت من شيء منهم ؟» .

فقلت : رأيت رجالاً سوداً مستفرين بثياب بيض ، فقال رسول الله ﷺ «أولئك وفد جن نصيبين أتوني فسألوني الزاد والمتاع فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة» قلت : فما يغني عنهم ذلك ؟ قال ﷺ «إنهم لايجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل ، ولاروثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أكلت فلا يستنقي أحد منكم بعظم ولا بعرة» وهذا إسناد غريب جداً ولكن فيه رجل مبهم لم يسم ، والله تعالى أعلم . وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية ابن الوليد : حدثني نمير بن زيد القنبر ، حدثنا أبي ، حدثنا قحافة بن ربيعة ، حدثني الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال «أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة ؟» فأسكت القوم ثلاثاً ، فمر بي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها ، وأفضينا إلى أرض براز فإذا برجال طوال كأنهم الرماح مستفرين بثيابهم من بين أرجلهم ، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم ، وهذا حديث غريب ، والله أعلم .

ومما يتعلق بوفود الجن مارواه الحافظ أبو نعيم : حدثنا أبو محمد بن حبان ، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح ، حدثنا يعقوب الدورقي ، حدثنا الوليد بن بكير التميمي ، حدثنا حصين بن عمر ، اخبرني عبيد المكتب عن إبراهيم قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا في بعض الطريق إذا هم بحية تنثني على الطريق أبيض ، ينفح منه ريح المسك فقلت لأصحابي : امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى مايصير اليه أمر هذه الحية . قال : فما لبثت أن ماتت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق ، فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى . قال : فوالله إنا لقعود إذ اقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمراً ، قلنا : ومن عمرو ، قالت : أيكم دفن الحية ؟ قال فقلت : أنا . قالت أما والله لقد دفنت صواماً قواماً ، يأمر بما أنزل الله تعالى ، ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام . قال الرجل : فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، فأنبأته بأمر الحية فقال : صدقت سمعت رسول الله ﷺ يقول «لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة» وهذا حديث غريب جداً ، والله أعلم .

قال أبو نعيم ، وقد روى الثوري عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه ، وروى عبد الله بن أحمد والظهراني عن صفوان بن المعطل : هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وأنهم قالوا إنه آخر التسعة موتاً الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن ، وروى أبو نعيم من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه ، عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال : كنت جالساً عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء رجل فقال : ياأمير المؤمنين إني كنت بفلاة من الأرض ، فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر ، قال : فذهبت إلى المعترك فوجدت حيات كثيرة مقتولة ، وإذ ينفح من بعضها ريح المسك ، فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة ، فلففتها في عمامتي ودفنتها ؛ فبينا أنا أمشي إذ ناداني مناد : ياعبد الله لقد هديت ، هذان حيان من الجن بنو شعيان وبنو قيس التقوا فكان من القتلى مارأيت ، واستشهد الذي دفنته وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله ﷺ قال : فقال عثمان لذلك الرجل إن كنت صادقاً فقد رأيت عجباً ، وإن كنت كاذباً فعليك كذبك . وقوله تبارك وتعالى : ﴿وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن﴾ أي طائفة من الجن ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ أي استمعوا وهذا أدب منهم .

وقد قال الحافظ البيهقي : حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق ، حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي ، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالي أراكم سكوتاً ؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ، ماقرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا : ولابشيء من آلائك ونعمك ربنا نكذب فلك الحمد» . ورواه الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي : غريب لانعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير بن محمد به مثله . وقوله عز وجل ﴿فلما قضى﴾ أي فرغ كقوله تعالى : ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ ﴿ ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أي رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ماسمعوه من رسول الله ﷺ كقوله جل وعلا ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾ وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نذر وليس فيهم رسل ، ولاشك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولاً لقوله تعالى : ﴿ومأأرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى﴾ . وقال عز وجل ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ . وقال عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته .

فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ فالمراد هنا مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس كقوله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أي أحدهما ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ ولم يذكروا عيسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم ، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة ، فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال : بخ بخ ! هذا الناموس الذي كان يأتي موسى ياليتني أكون فيه جذعاً . ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله ﴿يهدي إلى الحق﴾ أي في الاعتقاد والإخبار ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب ، فخبره صدق وطلبه عدل ، كما قال تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن ﴿يهدي إلى الحق﴾ في الاعتقادات ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ أي في العمليات ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس ، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال ﴿أجيبوا داعي الله وآمنوا به﴾ وقوله تعالى : ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ قيل إن من ههنا زائدة ، وفيه نظر لأن زيادتها في الاثبات قليل ، وقيل إنها على بابها للتبعيض ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ أي ويقيكم من عذابه الأليم ، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لايدخلون الجنة ، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ، ولهذا قالوا هذا في هذ المقام وهو مقام تبجح ومبالغة ، فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لايدخل مؤمنو الجن

الجنة لأنهم من ذرية إبليس ، ولاتدخل ذرية إبليس الجنة ، والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف ، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان﴾ وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ، فلم يكن تعالى ليمتن عليهم جزاء لايحصل لهم ، وأيضاً فانه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى . ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ وما أشبه ذلك من الآيات .

وقد افردت هذه المسألة في جزء على حدة ولله الحمد والمنة ، وهذه الجنة لايزال فيها فضل ينشىء الله تعالى لها خلقاً أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحاً ، وماذكروه ههنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة ، لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار ، فمن أجير من النار دخل الجنة لامحالة ، ولم يرد معنا نص صريح ولاظاهر عن الشرع أن مؤمني الجن لايدخلون الجنة ، وإن أجيروا من النار ، ولو صح لقلنا به ، والله أعلم . وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ ولاخلاف أن مؤمني قومه في الجنة فكذلك هؤلاء . وقد حكي فيهم أقوال غريبة . فعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنهم لايدخلون بحبوحة الجنة ، وإنما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ، ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولايرون بني آدم بعكس ماكانوا عليه في الدار الدنيا . ومن الناس من قال : لايأكلون في الجنة ولايشربون وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضاً عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ولادليل عليها ، ثم قال مخبراً عنهم ﴿ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به ﴿وليس من دونه أولياء﴾ أي لايجيرهم منه أحد ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ، ولهذا نجع في كثير منهم .وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً كما تقدم بيانه ، ولله الحمد والمنة والله أعلم .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ
إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : أولم يرَ هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ أي ولم يكرثه خلقهم بل قال لها كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة ، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ كما قال عز وجل في الآية الأخرى ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ . ثم قال جل جلاله مهدداً ومتوعداً لمن كفر به ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ أي يقال لهم أما هذا حق أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون ؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أي لايسعهم إلا الاعتراف ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ ثم قال تبارك وتعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ أي على تكذيب قومهم لهم . وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم ومومى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ ، قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى ، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون ﴿من﴾ في قوله من الرسل لبيان الجنس ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي ، حدثنا السري بن حيان ، حدثنا عباد بن عباد ، حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال «ياعائشة إن الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، ياعائشة إن الله تعالى لم يرض من

أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ماكلفهم فقال ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ وإني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولاقوة إلا بالله» ﴿ولاتستعجل لهم﴾ أي لاتستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى : ﴿فذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾ وكقوله تعالى : ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ كقوله جل وعلا ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ وكقوله عزل وجل ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ الآية . وقوله جل وعلا ﴿بلاغ﴾ . قال ابن جرير يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ ، والآخر أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ . وقوله تعالى : ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ أي لايهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله عز وجل أنه لايعذب إلا من يستحق العذاب ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة الأحقاف ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

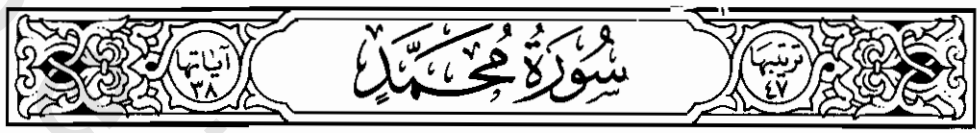

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾

يقول تعالى : ﴿الذين كفروا﴾ أي بآيات الله ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثواباً ولاجزاء كقوله تعالى : ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ ثم قال جل وعلا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته ﷺ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿هو الحق من ربهم﴾ جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله ﴿كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي أمرهم . وقال مجاهد : شأنهم . وقال قتادة وابن زيد : حالهم والكل متقارب . وقد جاء في حديث تشميت العاطس «يهديكم الله ويصلح بالكم» ثم قال عز وجل ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ أي إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شؤونهم لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل أي اختاروا الباطل على الحق ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي يبين لهم مآل أعمالهم ، ومايصيرون إليه في معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾